نظرة في الكلام المجازي

عندنا وعند الافرنج

مما هو ثابت بالحس والمشاهدة فلا يحتاج الى جدال وبرهان اننا في نهضتنا العلمية الحاضرة ينبغي لنا ان نضيف الى ما عندنا والى ما ورثناه عن سلفنا الصالح كنوز نفائس وفوائد تتمتع بها الامم الافرنجية في عصرهم الذهبي الحالي ، ولا غبن عليهم ولا عار علينا ان يعيرونا جانباً واسعاً من ذلك كما أعارهم اجدادنا قناطير مقنطرة خلال عصورهم الذهبية التي لا تقل عن سبعة او ثمانية قرون ابتداؤها بوجه التقريب في المئة الثالثة للهجرة . ومن ثم وجب علينا ان نعنى عناية خاصة بفن التعريب اعني حسن النقل عن اللغات الاعجمية بحيث لا نضيع شيئاً من معاني الاصل المنقول عنه . ولا نشوه شيئاً من محاسن الفرع اي محاسن اللسان العربي المنقول اليه بل نحفظ له قوالبه المعهودة له ونصون طابعه الاجمالي في كل قطعة وكل بحث ولا ندخل عليه من مفردات ومركبات الاعاجم الا قدراً يسيراً يقارب ما عهدناه في لساننا ، اولا نراه بعيداً عنه في القياس فلا يتأذى صميم لغتنا ولا يتنكر وجه ادبنا بهذا القدر اليسير . وهذه شروط لا نجد الا فئة صغيرة من فحول كتابنا وادبائنا يلتفتون اليها ويعملون بمقتضاها . واما سائر حملة الاقلام بيننا فهم في هذه السبيل إما قاصرون ، وإما مقصرون ، وإما مقصّرون عنه توانياً وكسلاً حتى دب دبيب الخلل والفساد الى الانشاء العربي الناصع من حيث نشعر ولا نشعر ، والى ناحية كبيرة من نواحي كرامتنا القومية وواجباتنا الوطنية . وهنا هنا موضع الخزي والخذلان ، والضرر والخطر .

وقد وضعت لهذا المطلب السامي الشأن كتاباً منذ بضع سنوات سميته « كتاب فن التعريب عن اللغة الفرنسوية » والاحكام والفروق التي تنطبق على لغة الفرنسيس

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

عند التعريب عنها ، يتناول اكثرها غيرها من لغات غربي اوربا كالايطالية والاسبانية والانكليزية والالمانية والرومانية ، فجميعها اخوات او بنات اعمام متحدرات من اصول لاتينية او يونانية قديمة . واما مقالي الحاضر فأريد ان التفت فيه لفتة خاصة الى الكلام المجازي عندنا وعند الافرنج ، فان نقل الكلام المجازي الاجنبي الى لساننا عقبة كؤود يجب ان تتضافر الاذهان والاقلام على تذليلها وتمهيد طريقها ، فاذا وفقنا لذلك واتفقت عليه كلمتنا زالت من امامنا اعظم مصاعب التعريب وعوائقه . والذي ذكرته من هذا القبيل في كتابي « فن التعريب » هو جل ما وصل اليه فهمي واجتهادي وانطبق على ذوقي ، ولعله لا يخلو من فائدة ومعونة ، ولكنه غير كاف لأنه لا يشتمل على حكم جامع مانع . فهذا الحكم الخطير ليس من الحق ان يصدره كاتب واحد ولا من الصواب ان يطالب به كاتب واحد ، وانما يتعاون عليه ويتشارك فيه جماعة من خدّام اللغة العربية والادب العربي . وها انا جئت افتح الباب في وجه هؤلاء الاخوان فعساهم بعد ذلك ان يدلوا ابناء الامة على غرف الدار ومسالكها ومستشرفاتها ومرافقها .

متى يجوز لنا ان ننقل الى لساننا الكلام المجازي الافرنجي حسب ظاهر لفظه واسلوبه ؟ ومتى يجب علينا ان نضرب صفحاً عن لفظه واسلوبه ونقتصر على تأدية معناه حسب قوالب لغتنا ؟

اما الذي اتبينه أنا من هذين الشقين فهو كما يأتي :

ان الكلام المجازي الافرنجي يحسن نقله الى العربية حسب ظاهر لفظه واسلوبه في هذه الحالة :

اذا كانت الصورة المجازية مسموعة شائعة في لساننا نحو : « عقدَ حديثاً » — *Lier une conversation* ضرب العدو معقلا . *Battre une place* اي اطلق عليه نيران المدافع . — « راية منصورة *Un drapeau victorieux* اي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

اصحابها منصورون – « عقل ناضج *Un esprit mûr* » اي كامل بالتجارب — « صقل عبارة *Polir une expression* » اي هذبها — « صارع الشقاء *Lutter contre la misère* » اي قاومه — « ابناء الظلمات *les enfants des ténèbres* » اي ابناء الضلالة — « ثقل الصولجان *le poids du sceptre* اي مصاعب الملك — « ميناء النجاة *le port du salut* » اي المنجى — « عقل مخصب *Uu esprit fécond* » اي عقل متسع قادر ·

ويدخل في هذا السلك كل ما كان وارداً على طريق مجاز مشاع ، تشبيهاً كان او استعارة او كناية فهو غير محسوب من خصائص اللسان العربي ولا من خصائص اللغات الافرنجية كوصف بعض شعراء الافرنج الشعر المسدول بالتموج وتشبيههم الغدير الصافي بالمرآة ، ولحاظ الحسان بالاشعة · وكقول احد ادبائهم مشيراً الى مساوئ طور الشباب وقلة خيره : « ليس ما يدعونه ايام الصبى الا وميض برق في ليل عاصف » وكقوله في وصف معيشة قروي : « وكان بين امرأته واولاده كالشجرة الناضرة كلها ثمرها الناضج » وفي كرور الايام المستمر : « الزمان بحر دائم الجريان لا ساحل له والمرء فوقه يتخبط على غير هدى ولا يصيب مرفأ يرمي فيه » وفي ذكر امّ تتأمل صغيرها : « كانت تنظر بحنو الى طفلها وما هو الا وعاء ستملأه حادثات الليالي » وفي شقاء الرعية لرفاهية ملوكها : « لم ينسج ارجوان الملوك الاّ من دماء رجالهم » ·

ولكني لا استحسن مثلاً ان تقول في التعبير المجازي كما يقول الافرنج « دموع مرة » عوض « دموع حارة » ولا « احترام عميق » عوض « احترام عظيم » وغابات نائمة » عوض « غابات هادئة او ساكنة » ولا « جبهة هادئة متكبرة » عوض « عليها سمات الهدوء » ولا « مدّ اليه يداً مستحية » عوض « مد اليه يد الحياء · او — مد اليه يده بحياء · او · مدّ اليه يده مستحياً » ولا « طلب يد فلانة » اي خطبها الى اهلها » ولا « الزمان الذي يتبختر » اي الزمان المشرف على الزوال ·

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فهل يمكن وضع حدود ورسوم لهذا المرفوض وذاك المقبول من المجاز الافرنجي ٠ وكيفما افضى بنا البحث والاستقراء فلا شك انه يجب رفض الصورة المجازية الافرنجية اذا كانت من خصائص انشائهم وهي غير معهودة في انشائنا ٠ واذا كانت عندهم دالة على اصطلاح خصوصي او عادة في معايشهم او فيها تلميح الى حديث او حادث في تاريخهم ٠ ويكثر ذلك في الامثال والكلمات المأثورة القريبة من مجرى المثل ٠ فلا بد لنا حينئذ من كشف المراد عنها وقد يتفق ان يكون لمؤداها صورة مجازية اخرى عندنا فنذكر المجاز العربي ونترك المجاز الافرنجي وان افضيا الى معنى واحد ٠ فعوض ان نقول مثلا « ألقى آخر ورقة لعب من يده » او « اطلق آخر خرطوشة من بندقيته » يجدر بنا ان نقول : « رمى بآخر سهم من كنانته » وعوض ان نقول « عمل ملفوفة بيضاء » يجب ان نقول : فاته غرضه اوخاب مسعاه او طاش سهمه او خبا زنده

ومن هذا الشق المرفوض استعمال بعض الأدوات عندهم لمعان وحالات لا تنطبق على ما يراد منها في لغتنا ٠ فلفظة *Comme* ومعناها « مثل » تأتي عندهم بهذا المعنى وبمعنى « بما ان » وقد يستعملونها في مواضع نرى وجوب حذفها منها في العربية نحو قولهم *je le considérais comme innocent* وهذا تعريبها الصحيح : « كنت اعده ٠ او ٠ كنت اعتبره بريئًا » لا « مثل بريءٌ ٠ او نظير بريءٌ » حسب النص الفرنسوي ، وترد *Comme* في الفرنسوية للتعجب نحو *Comme il est beau !* اي « ما اجمله » ٠

« *Rien qu' à* » : يرادفها في العربية « بمجرد » في مثال قولنا : « *Rien qu'à le voir, on le soupçonne* » اي : بمجرد النظر اليه تقع التهمة عليه نحو: «*une fois que..*» *Cela, doit être vrai une fois que vous mele dites* اي « بما انك قلت لي ذلك ينبغي ان يكون صحيحًا »

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(*c'est*) : لا يجوز أن ننقلها بحرفها الى لغتنا فنقول « هذا » او «هذا هو » فهذه الأداة عندهم يستعملونها لاداء معنى الحصر والتوكيد . فيجب ان نقيم مقامها ما عرفناه من وسائل الحصر والتوكيد مثل استعمال « ما والا » او ما يرادفها في النفي والاستثناء . او استعمال « انما » او تقديم اللفظ المراد حصره . او استعمال شيء من اللفظ المؤكد . فاذا قالوا مثلاً *C'est une bonne intention qui lui a dicté cette démarche* لا يجوز لنا ان ننقلها حرفيًا ونقول : « هذه هي نية صالحة املت عليه هذا المسعى » فهذا التركيب في منتهى الركاكة والخطإ بل يجب ان نقول « ما املى عليه هذا المسعى الا نيته الصالحة » او « انما دعاه الى مسعاه صفاء النية او حسن القصد » او « حسن القصد وحده دفعه الى مسعاه » او نحو ذلك

(*trop*) هذه الاداة عندهم تدل على تجاوز الحد في الأمر فاذا قالوا : « *Il est trop sage pour commettre cette faute* » فمن المضحك ان ننقل اللفظ بنصه الى لساننا ونقول : « انه عاقل كثيرا لارتكاب هذه الغلطة » بل ينبغي ان نقول « انه اعقل من ان يرتكب هذا الخطأ » .

ان الاداتين الفرنسويتين *si* و *autant* يرادفهما في العربية «بهذا المقدار» ولكن في كثير من استعمالها نرى ترجمتها بهذا اللفظ سمجًا ركيكًا . مثال ذلك قولهم : « *Il est si (tant ou autant) vertueux qu'il aime ses ennemis* » فلا تنقلها بحرفها الى العربية ونقل : انه بهذا المقدار فاضل حتى يحب اعداءه » بل قل : « قد بلغ من فضله — او فضيلته — انه يحب اعداءه » او « ان فضيلته تقضي عليه حتى بمحبة اعدائه » او نحو ذلك .

ومن هذا القبيل « *pour* » فلا يرادفها في العربية دائمًا لام التعليل او « لكي » او « لاجل » . بل ذلك غالب في استعمالها لا مطرد اذ تقع في بعض استعمالاتها الفرنسوية موقع « عوضًا عن » او « عن » بمعنى عوض . او « بدلاً من » . نحو :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

« *embrassez pour moi vos enfants* » فلا تقل في تعريبها « قبل لأجلي أولادك » بل قل « قبل عني اولادك » او — عوضاً عني — او - بدلاً مني ... او — نب عني بتقبيلهم . ثم ان هذه الاداة الفرنسوية نفسها *pour* يجب حذفها عند التعريب في بعض استعمالها . مثال ذلك : *je compte ces fatigues pous rien* فيجب تعريبها هكذا : « لا أعد هذه الاتعاب شيئاً » او — شيئاً مذكوراً — او : شيئاً يستحق الذكر

ولهم أفعال تخالف في بعض مواقعها عندهم ما عرفناه من مواقع مرادفاتها عندنا . اكتفي هنا على سبيل التمثيل بايراد اربعة منها : « *faire. avoir. venir. aller* »

« *faire* » هذا الفعل الذي يرادفه بالعربية في اكثر استعماله « فعلَ او عملَ اوصنعَ » قد يرد بالفرنسوية في تعابير لا يليق بنا عند تعريبها استعمال المرادف المذكور مثال ذلك ان يقال في الفرنسوية « *il a fait des efforts* » فلا تنقله حرفياً ونقل « عمل مجهودات » بل قل « بذل جهداً » . وان يقال *il a fait ses devoirs* فلا تقل في تعريبه « عمل واجباته » بل « قضى واجباته — او — اداها — او — قام بها — او قام بما عليه . الخ »

ويقولون « *il a fait malade* » ونحن نقول : « اظهر المرض — او ادّعاه — او تمارض »

« *avoir* » هو فعل الحصول عند الفرنسويين فاذا ألحق به حرف الجرّ الى هكذا : « *avoir à* » وبعد حرف الجر فعل آخر وجب ان يحل محله في العربية الفصحى اللام او على ملحقتين بالضمير او الاسم الظاهر الذي يريده المتكلم . وربما اقتضى اتساق الانشاء العربي ان يتقدم على ذلك فعل كان او وجب او ترتب نحو « *vous aurez à faire un long trajet* » وتعريبه هكذا : « سيكون عليك — او سيترتب عليك او سيجب عليك — قطع مسافة طويلة . ونحو : « *Vous*

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

« *n,aurez qu à lui attirer son attention* » وهذا تعريبه : « ليس لك الا ان توجه انتباهه — او ان تنبهه » .

« *aller; venir* » يستعمل فعل المجيء في الفرنسوية احياناً للدلالة على الماضي القريب . وفعل الذهاب للدلالة على المستقبل القريب . فاذا قالوا : يجيء من فعل كذا : « *il vient de faire* » ارادوا انه فعله منذ هنيهة . واذا قالوا « يذهب لفعل كذا » *il va faire telle chose* ارادوا انه سيفعله عما قريب . او انه على اهبة القيام به . كما اشتهر انهم يستعملون فعل الذهاب للسؤال عن الاحوال فيقولون : « كيف انت ذاهب » اي كيف احوالك . ويقولون « كيف ذاهبة الأشغال » اي كيف هي .

وكثيراً ما يستعملون صيغة الحاضر في تصريف الافعال عوض صيغة الماضي عند تخبيرهم بالحوادث لأنهم يرون هذا الاستعمال ادعى الى حسن تصوير الأمر للقارئ وترسيخه في ذهنه . مثال ذلك قولهم : « *L'orateur se lève , attire l'attention et captive les esprits* » اي « ينهض الخطيب فيسترعي انتباه القوم ويختلب عقولهم » يأتون بمثل هذا التعبير والحكاية فيه عن امر واقع . واما الكاتب العربي فلا يجوز له الا مراعاة زمن الحادث مستعملاً صيغة الماضي بحيث يقول : « نهض الخطيب فاسترعى انتباه القوم واختلب عقولهم .

ومما يجدر بنا ذكره مناسبةً لما نحن فيه ان البلاغة العربية يدخل في ابوابها وطرق انشائها عكس ما ذكرناه هنا من مصطلحات الانشاء الفرنسوي . فالبليغ العربي لا يعرف اقامة المضارع مقام الماضي ولكنه يعرف اقامة الماضي مقام المضارع حين يريد الاشارة الى ان وقوعه امر محتوم لا ريب فيه . وشاهد ذلك ما جاء في القرآن الكريم عند ذكر ساعة الدينونة : « وفتحت السماء فكانت ابواباً » والمراد : « وستفتح السماء فتكون ابواباً » وانما اختار صيغة الماضي لاشعار السامع ان ذلك الحادث المستقبل منتظر لا مجال للشك فيه كما لا يشك في امر وقع واتصل بنا خبر

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقوعه . وهذا الاستعمال عندنا داخل في باب مخالفة مقتضى الظاهر من فن المعاني . وهو نهج معروف في العربية العامية ايضاً . مثال ذلك ان جاركم يقول لك « ان ولدي من تلاميذ الصف الاول في مدرسته وعلاماته في الدروس وحسن السلوك من اول السنة الى اليوم احسن من علامات رفاقه كلهم وهو هذه الأيام قد ضاعف انتباهه واجتهاده ومراجعاته استعداداً لامتحان آخر السنة » فتجيبه « اذن ابنك نجح واخذ جائزة الشرف الاولى من مدرسته » وانت تريد ان تقول له « ان ابنك سينجح وسيأخذ جائزة الشرف الأولى من مدرسته » . لأنه في ساعة تحادثك انت وجارك لم يكن امتحان آخر السنة قد حان ووزعت جوائزه على مستحقيها .

ومما يجب علينا الانتباه اليه وحسن تدبره كيفية نقل المجاز الافرنجي في طريق الاساطير الخرافية المأخوذة عن قدماء اليونان والرومان ولا سيما عند ذكر الارباب الوثنيين ورباتهم وانصاف آلهتهم وابطالهم ولكل منها دلالة على اعلى قمة من الصفات المختلفة كالحكمة وقوة البأس والدهاء والذكاء والجمال والغرام والحقد والانتقام وغير ذلك .

واما الخصائص في بعض المفردات والمركبات فهي عندهم كثيرة جداً يخطئها العد والاحصاء ولكن لا بد لنا من ايراد اليسير منها على سبيل التمثيل ووجوب الانتباه اليها واتخاذ الحيطة لها :

Il a mis deux heures معناه الأصلي : وضع ساعتين . والفصيح أن يقال : قضى ساعتين . او استغرق ساعتين

Etude معناه الأصلي درس . ويأتي بمعنى بحث . مبحث مباحثة .

Etudier une question الفرنسي يقول : درس فلان المسألة . والعربي يقول : فحصها وتفحصها نظر فيها او امعن فيها نظره او انعم نظره دقق فيها واعمل فيها فكره

sang froid معناه حرفياً : دم بارد . ويجب تعريبه بقولنا رباطة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الجأش اوثبات القلب او ثبات الجنان · او حضور الذهن

Il a sauvé les apparences معناه حرفيًا : انقذ الظواهر اوخلصها : و ترجمته داری ظاهر الأمر او رعى حق الظواهر · او صان حرمتها

Créer خلق · وكثيراً مايجب تعريبه بفعل اختلق او ابتكر او ابتدع او انشأ

Il était étroitem ent compromis ترجمته الفصيحة ، كانت التهمة موجهة اليه كل التوجيه او اشدالتوجيه · أو كانت الشبهة العظمى واقعة عليه

Il décrit avec bonheur يحسن الوصف · يصف بدقة · او مهارة او لباقة · انه موفق في دقة وصفه كذا

Cette influence explique son indécision الترجمة الحرفية ذلك التأثير كان سببًا لتردده · نشأ او نجم تردده عن ذلك التأثير

وهذا القدر اراه الآن كافيًا لأجل فتح الباب لغيري والتطلع الى ما وراءه من زوايا وخبايا

اللاذقية ادوار مرقص

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net